الإمام جعفر الصادق

نسبه ومولده:

هو جعفر بن محمد بن علي القرشي الهاشمي ابن الشهيد أبي عبد الله ريحانة النبي ﷺ وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عبد مناف بن شيبة، وهو عبد المطلب بن هاشم، واسمه: عمرو بن عبد مناف بن قصي.

الإمام، الصادق، شيخ بني هاشم، أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلوي، النبوي، المدني، أحد الأعلام.

وأمه: هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي.

وأمها: هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين.

وكان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهراً وباطناً، هذا لا ريب فيه، ولكن الرافضة قوم جهلة، قد هوى بهم الهوى في الهاوية، فبعداً لهم.

ولد: سنة ثمانين[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٥٥، والوافي بالوفيات للصفدي، ٤/ ٢٧، وتهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٧٥، وتذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٦٦.

obeikandl.com

لقبه:

لقب جعفر بن محمد بالصادق، وغلب هذا اللقب عليه، فلا يكاد يذكر إلا وانصرف إليه؛ وسببه أنه كان صادقاً في حديثه وقوله وفعله، لا يعرف عنه سوى الصدق ولم يعرف عنه كذب قط:

بأبِهِ اقتدى عديٌّ بالكرم ومن يُشابِهُ أبهُ فما ظلم

حيث جده هو الصديق الذي نزل فيه قوله تعالى في آخر التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقد اشتهر لقبه هذا بين المسلمين، وكثيراً ما يلقبه به الشيخ ابن تيمية وغيره[١].

شيوخه وتلاميذه:

رأى بعض الصحابة، أحسبه رأى: أنس بن مالك، وسهل بن سعد.

حدث عن: أبيه؛ أبي جعفر الباقر، وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح ـ وروايته عنه في (مسلم) ـ وجده؛ القاسم بن محمد، ونافع العمري، ومحمد بن المنكدر، والزهري، ومسلم بن أبي مريم، وغيرهم، وليس هو بالمكثر إلا عن أبيه.

وكانا من جلة علماء المدينة[٢].

إذا عرفنا تلاميذ الصادق تبين لنا المكانة العلمية التي كان يتمتع بها، فلقد كان أساطين العلم وأئمة الهدى يجلسون بين يديه، وينهلون من معين النبوة.

---

(١) الموجز الفارق من معالم ترجمة الإمام جعفر الصادق علي الشبل، ص٣.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٥٥.

حدث عنه: ابنه موسى الكاظم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن عبد الله بن الهاد ـ وهما أكبر منه ـ وأبو حنيفة، وأبان بن تغلب، وابن جريج، ومعاوية بن عمار الدهني، وابن إسحاق ـ في طائفة من أقرانه ـ وسفيان، وشعبة، ومالك، وإسماعيل بن جعفر، ووهب بن خالد، وحاتم بن إسماعيل، وسليمان بن بلال، وسفيان بن عيينة، والحسن بن صالح، والحسن بن عياش ـ أخو أبي بكر ـ وزهير بن محمد، وحفص بن غياث، وزيد بن حسن الأنماطي، وسعيد بن سفيان الأسلمي، وعبد الله بن ميمون، وعبد العزيز بن عمران الزهري، وعبد العزيز الدراوردي، وعبد الوهاب الثقفي، وعثمان بن فرقد، ومحمد بن ثابت البناني، ومحمد بن ميمون الزعفراني، ومسلم الزنجي، ويحيى القطان، وأبو عاصم النبيل، وآخرون[1].

ثناء العلماء عليه:

قال مصعب بن عبد الله: سمعت الدراوردي يقول: لم يرو مالك عن جعفر حتى ظهر أمر بني العباس.

وقال مصعب: كان مالك يضمه إلى آخر.

وقال علي: عن يحيى بن سعيد، قال: أملى عليَّ جعفر بن محمد الحديث الطويل ـ يعني: في الحج ـ ثم قال: وفي نفسي منه شيء، مجالد أحب إليَّ منه.

قلت: هذه من زلقات يحيى القطان، بل أجمع أئمة هذا الشأن على أن جعفراً أوثق من مجالد، ولم يلتفتوا إلى قول يحيى.

وقال إسحاق بن حكيم: قال يحيى القطان: جعفر ما كان كذوباً.

---

(١) تهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٧٥.

وقال إسحاق بن راهويه: قلت للشافعي في مناظرة جرت: كيف جعفر بن محمد عندك؟ قال: ثقة.

وروى: عباس، عن يحيى بن معين: جعفر بن محمد: ثقة، مأمون.

وروى: أحمد بن زهير، والدارمي، وأحمد بن أبي مريم، عن يحيى: ثقة.

وزاد ابن أبي مريم، عن يحيى: كنت لا أسأل يحيى بن سعيد عن حديثه، فقال: لم لا تسألني عن حديث جعفر؟ قلت: لا أريده. فقال: إن كان يحفظ، فحديث أبيه المسند ـ يعني: حديث جابر في الحج ـ.

ثم قال يحيى بن معين: وخرج حفص بن غياث إلى عبادان، وهو موضع رباط، فاجتمع إليه البصريون، فقالوا: لا تحدثنا عن ثلاثة: أشعث بن عبد الملك، وعمرو بن عبيد، وجعفر بن محمد. فقال: أما أشعث فهو لكم، وأما عمرو فأنتم أعلم به، وأما جعفر فلو كنتم بالكوفة، لأخذتكم النعال المطرقة.

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة وسئل عن جعفر بن محمد عن أبيه، وسهيل عن أبيه، والعلاء عن أبيه: أيها أصح؟ قال: لا يقرن جعفر إلى هؤلاء.

وسمعت أبا حاتم يقول: جعفر لا يسأل عن مثله. قلت: جعفر: ثقة، صدوق، ما هو في الثبت كشعبة، وهو أوثق من سهيل، وابن إسحاق. وهو في وزن ابن أبي ذئب، ونحوه.

وقد حدث عنه: الأئمة، وهو من ثقات الناس ـ كما قال ابن معين[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٥٧، وانظر: تهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٧٧.

عبادته وزهده وورعه:

أما حاله في العبادة، فهو صاحبها، وإمام عصره فيها؛ وإذا عُدَّ العباد الزهاد فهو مُقدَّم ركبهم، وإذا أحصي الذاكرون الخاشعون فهو حامل رايتهم.

قال مالك: ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق: فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً[١].

ويقول مالك بن أنس عليه رحمة الله تعالى: كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنه فيقدم لي مخدة ويعرف لي قدراً، ويقول: يا مالك! إني أحبك، فكنت أُسَرُّ بذلك وأحمَد الله عليه.

وكان رضي الله عنه لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً وإما قائماً وإما ذاكراً، وكان من عظماء العباد وأكابر الزهاد الذين يخشون الله سبحانه وتعالى، وكان كثير الحديث، طيب المجالسة، كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخضر مرة واصفرَّ أخرى، حتى ينكره من لا يعرفه!. ولقد حججت معه سنة، فلما استوت به راحلته عند الإحرام، كان كلما هم بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، يقول: وكاد يخر من راحلته، فقلت له: قل يا ابن رسول الله! فلابد لك من أن تقول، فقال لي: يا ابن أبي عامر كيف أجسر أن أقول: لبيك اللَّهم لبيك؟ وأخشى أن يقول: لا لبيك ولا سعديك[٢].

ويقول رحمه الله أيضاً: اختلفتُ إليه زماناً ـ يشير إلى كثرة ما كان يأتيه ـ فما

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب، ٤/ ٢٤٨.

(٢) كتاب الخصال، ١/ ٧٧.

كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلٍ وإما صائم وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يُحدِّث إلا على طهارة[١].

وقد قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الرجل الصادق لا يصيبه خرف الشيخوخة، ولا يفقد وعيه عند الحشرجة، ومن يكون أصدق قولاً ممن لقبه الخصوم والأولياء والتاريخ كله بالصادق؟! كما ذكر ذلك تعليقاً على عبارة الإمام مالك هذه محمد أبو زهرة في كتابه الإمام الصادق[٢].

كرمه وجوده:

درج الصادق في بيت الجود وترعرع في ميادين الكرم:

يقول هياج بن بسطام، قال: كان جعفر بن محمد يطعم، حتى لا يبقى لعياله شيء[٣].

وعن سفيان، قال: دخلت على جعفر بن محمد، وعليه جبة خز دكناء، وكساء خز أيدجاني، فجعلت أنظر إليه تعجباً. فقال: ما لك يا ثوري؟ قلت: يا ابن رسول الله! ليس هذا من لباسك، ولا لباس آبائك. فقال: كان ذاك زماناً مقتراً، وكانوا يعملون على قدر إقتاره وإفقاره، وهذا زمان قد أسبل كل شيء فيه غزاليه[٤].

ثم حسر عن ردن جبته، فإذا فيها جبة صوف بيضاء، يقصر الذيل عن

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر، ٢/ ٨٨.
(٢) الإمام الصادق لمحمد أبو زهرة، ص٥١.
(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٦٦، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٨٠.
(٤) العزالي: جمع العزلاء، وهو فم المزادة الأسفل، وفي الحديث: ((وأرسلت السماء عزاليها» أي: كثر مطرها على المثل، والمراد هنا، أن الخير قد كثر وعم.

الذيل، وقال: لبسنا هذا لله، وهذا لكم، فما كان لله، أخفيناه، وما كان لكم، أبديناه.

وعن بعض أصحاب جعفر بن محمد، عن جعفر، وسئل: لم حرم الله الربا؟ قال: لئلا يتمانع الناس المعروف[١].

وذكروا عنه أنه كان يمنعُ الخصومةَ بين الناسِ، بتحملهِ الخسائر على نفسهِ وإيثارِ الصلح بينهم.

كما ذكروا عنه أنهُ شابه جدهُ علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه في الإنفاقِ سراً، وذلك أنهُ إذا كان لحاجاتِ من فقراءِ المدينة، دون أن يعلموا به، حتى مات، وظهرت الحاجةُ فيمن كان يعطيهم بعد موتهِ الغلسُ في الليلِ حمل جراباً فيه خبزٌ ولحمٌ ودراهم على عاتقهِ، ثم وزعه على ذوي الحاجات.

مكانته العلمية والفقهية:

عن أبي حنيفة قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، وقال أبو حاتم: ثقة لا يُسأل عن مثله[٢].

قال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، وكان يقول: سلوني قبل تفقدوني فإنه لا يحدثكم بعدي بمثل حديثي[٣].

وعن عمرو بن أبي المقدام، قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد، علمت أنه من سلالة النبيين، قد رأيته واقفاً عند الجمرة يقول: سلوني، سلوني.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦٢، تهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٨٦، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٨٠، تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٥٤.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٦٦.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي، ٤/ ٢٧، وتهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٧٩، وتذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٦٦، وتاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٥٣.

وقال حسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة، وسئل: من أفقه من رأيت؟ فقال: ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث إليَّ، فقال: يا أبا حنيفة: إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيِّئْ له من مسائلك الصعاب.

فهيأت له أربعين مسألة، ثم أتيت أبا جعفر ـ وجعفر جالس عن يمينه ـ فلما بصرت بهما، دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلمت، وأذن لي، فجلست. ثم التفت إليَّ جعفر، فقال: يا أبا عبد الله! تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا أبو حنيفة. ثم أتبعها: قد أتانا. ثم قال: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك، نسأل أبا عبد الله.

فابتدأت أسأله، فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا، وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على أربعين مسألة، ما أخرم منها مسألة.

ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟[1].

موقفه من الشيخين أبي بكر وعمر وبراءته من عدوهما:

عن زهير بن معاوية، قال: قال أبي لجعفر بن محمد: إن لي جاراً يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر. فقال جعفر: برئ الله من جارك، والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر، ولقد اشتكيت شكاية

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٥٣، وتهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٧٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٥٨.

ـ مرضت ـ، فأوصيت ـ أي بمالي بعد موتي ـ إلى خالي عبد الرحمن بن القاسم [بن أبي بكر].

قال ابن عيينة: حدثونا عن جعفر بن محمد، ولم أسمعه منه، قال: كان آل أبي بكر يدعون على عهد رسول الله ﷺ آل رسول الله ﷺ.

وروى: ابن أبي عمر العدني، وغيره، عن جعفر بن محمد، عن أبيه: نحو ذلك.

وعن سالم بن أبي حفصة، قال: سألت أبا جعفر وابنه جعفراً عن أبي بكر وعمر، فقال: يا سالم! تولهما، وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى.

ثم قال جعفر: يا سالم! أيسب الرجل جده؟، أبو بكر جدي، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما، وأبرأ من عدوهما.

وقال حفص بن غياث: سمعت جعفر بن محمد يقول: ما أرجو من شفاعة عليٍّ شيئاً، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله، لقد ولدني مرتين.

عن عبد الجبار بن العباس الهمداني: أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة، فقال: إنكم ـ إن شاء الله ـ من صالحي أهل مصركم، فأبلغوهم عني: من زعم أني إمام معصوم، مفترض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء.

وعن حنان بن سدير قال، سمعت جعفر بن محمد، وسئل عن أبي بكر وعمر، فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة.

وعن عمرو بن قيس الملائي قال، سمعت جعفر بن محمد يقول: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر[1].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦٠، وتهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٨٠.

قلت: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، وأشهد بالله إنه لبار في قوله، غير منافق لأحد، فقبح الله الرافضة[١].

وعن حفص بن غياث: سمعت جعفر بن محمد يقول: ما يسرني بشفاعة أبي بكر رضي الله عنه هذا العمود ذهباً، يعني سارية من سواري المسجد[٢].

سفيان يستنصح جعفر:

عن مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد، قال: لما قال له سفيان: لا أقوم حتى تحدثني، قال: أما إني أحدثك، وما كثرة الحديث لك بخير، يا سفيان! إذا أنعم الله عليك بنعمة، فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله قال في كتابه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. وإذا استبطأت الرزق، فأكثر من الاستغفار، فإن الله قال في كتابه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٣] الآية.

يا سفيان! إذا حزبك أمر من السلطان أو غيره، فأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة. فعقد سفيان بيده، وقال: ثلاث وأي ثلاث! قال جعفر: عقلها ـ والله ـ أبو عبد الله، ولينفعنَّه الله بها[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦٠.

(٢) تهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٨٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٥٩، والوافي بالوفيات للصفدي، ٤/ ٢٧.

(٣) تهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٨٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦١، قال الذهبي: قلت: حكاية حسنة، إن لم يكن ابن غزوان وضعها، فإنه كذاب.

موقف لليث بن سعد مع جعفر:

عن الليث بن سعد قال: حججت سنة ثلاث عشرة ومئة فأتيت مكة، فلما أن صليت العصر رقيت أبا قبيس فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو، فقال: يا رب يا رب حتى انقطع نَفَسُه، ثم قال: يا رباه حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا رب حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا الله يا الله حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا حي يا حي حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا رحيم حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه سبع مرات، ثم قال: اللهم إني اشتهي من هذا العنب فأطعمنيه، اللهم إن بُرْدَيَّ قد أُخلقا، قال الليث: فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذ عنب، وبردين موضوعين، فأراد أن يأكل، فقلت: أنا شريكك فقال لي تقدم وكل ولا تأخذ منه شيئاً.

فتقدمت فأكلت شيئاً لم آكل مثله قط، وإذا عنب لا عجم له فأكلت حتى شبعت والسلة بحالها، ثم قال لي: خذ أحب البردين إليك، فقلت له أما البردان فأنا غني عنهما، فقال لي توار عني حتى ألبسهما، فتواريت عنه، فارتدى أحدهما وائتزر الآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلهما على عاتقه، فنزل فاتبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل، فقال: اكسني كساك الله يا ابن رسول الله فدفعهما إليه.

فلحقت الرجل فقلت له من هذا؟ قال: جعفر بن محمد، قال الليث: فطلبته لأسمع منه فلم أجده[1].

هذا دعاء الأشراف:

قال شيخ من أهل المدينة: كان من دعاء جعفر بن محمد: اللهم

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي، ١/ ١٥.

أعزني بطاعتك، ولا تخزني بمعصيتك، اللهم ارزقني مواساة من قترت عليه رزقه بما وسعت عليَّ من فضلك، قال أبو معاوية ـ يعني غسان ـ فحدثت بذلك سعيد بن سلم، فقال: هذا دعاء الأشراف.

وعن نصر بن كثير، قال: دخلت أنا وسفيان الثوري على جعفر بن محمد، فقلت: إني أريد البيت الحرام فعلمني شيئاً أدعو به، فقال: إذا بلغت البيت الحرام فضع يدك على الحائط ثم قل: يا سابق الفوت، يا سامع الصوت، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت، ثم ادع بما شئت، فقال له سفيان شيئاً لم أفهمه، فقال له: يا سفيان إذا جاءك ما تحب فأكثر من الحمد لله، وإذا جاءك ما تكره فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار[1]؟.

جعفر يحب التمسك بالسنة وينبذ القياس:

عن عبد الله بن شبرمة، قال: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد، فقال لابن أبي ليلى: من هذا معك؟ قال: هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين، قال: لعله يقيس أمر الدين برأيه، قال: نعم، قال: فقال جعفر لأبي حنيفة: ما اسمك؟.

قال: نعمان، قال: يا نعمان هل قست رأسك بعد؟

قال: كيف أقيس رأسي؟ قال: ما أراك تحسن شيئاً، هل علمت ما الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين، والحرارة في المنخرين والعذوبة في الشفتين؟!، قال: لا، قال: ما أراك تحسن شيئاً، قال: فهل علمت كلمة أولها كفر وأخرها إيمان؟!، فقال ابن أبي ليلى: يا بن

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٤٨١.

رسول الله أخبرنا بهذه الأشياء التي سألته عنها، فقال: أخبرني أبي، عن جدي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى بمنه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمتان ولولا ذلك لذابتا، وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الأذنين حجاباً من الدواب فإن دخلت الرأس دابة والتمست إلى الدماغ فإذا ذاقت المرارة التمست الخروج، وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق بهما الريح ولولا ذلك لأنتن الدماغ، وإن الله تعالى بمنه وكرمه ورحمته لابن آدم جعل العذوبة في الشفتين يجد بهما استطعام كل شيء ويسمع الناس بها حلاوة منطقه**»، قال: فأخبرني عن الكلمة التي أولها كفر وآخرها إيمان، فقال: إذا قال العبد لا إله فقد كفر، فإذا قال: إلا الله فهو إيمان.

ثم أقبل على أبي حنيفة فقال: يا نعمان حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال: «**أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس، قال الله تعالى له: اسجد لآدم، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس لأنه اتبعه بالقياس**».

زاد ابن شبرمة في حديثه: ثم قال جعفر: أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس، قال: فإن الله ﷻ قبل في قتل النفس شاهدين، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة.

ثم قال: أيهما أعظم الصلاة أم الصوم؟

قال: الصلاة، قال: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي

الصلاة. فكيف؟ ويحك يقوم لك قياسك، اتق الله ولا تقس الدين برأيك[١].

أجوبته المسكتة:

ومن النوادر في أجوبته المسكتة الحاضرة ما ذكره صاحب ربيع الأبرار:

قال رجل لجعفر بن محمد: ما الدليل على الله؟ ولا تذكر لي العالم والعرض والجوهر، فقال له: هل ركبت البحر؟ قال: نعم؛ قال: هل عصفت بكم الريح حتى خفتم الغرق؟ قال: نعم، قال: فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين؟ قال: نعم، قال: فهل تتبعت نفسك أن ثمَّ من ينجيك؟ قال: نعم، قال: فإن ذاك هو الله، قال الله تعالى: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾[٢].

ويروى: أن أبا جعفر المنصور وقع عليه ذباب، فذبه عنه، فألح، فقال لجعفر: لم خلق الله الذباب؟ فقال جعفر: ليذل به الجبابرة[٣].

عمق فهمه:

عن جعفر بن محمد قال: إذا بلغك عن أخيك ما يسوؤك فلا تغتم،

---

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، ٢/ ٥٩، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٤٨٢، وأخبار القضاة للضبي، ٣/ ٧٨، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ملا علي القاري، ٤/ ٤٥٥.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري، ١/ ١٠٣.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي، ٤/ ٢٧، وتهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٩٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦٤، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٨٣، وصفة الصفوة لابن الجوزي، ١/ ٢١٤.

فإنه إن كان كما يقول، كانت عقوبة عجلت، وإن كان على غير ما يقول، كانت حسنة لم تعملها.

قال موسى عليه السلام: يا رب! أسألك ألا يذكرني أحد إلا بخير. قال: ما فعلت ذلك بنفسي[١].

وقال أبو جعفر المنصور لعمرو بن عبيد: يا أبا عثمان ما عندك عن النبي ﷺ في اتخاذ الكلب؟ فقال عمرو: روي عن النبي ﷺ أنه قال: من اتخذ كلباً لغير حراسة زرع أو ماشية نقص من أجره كل يوم قيراطان. قال: ولم ذلك؟ قال: لا أدري هكذا جاء الحديث.

فأقبل أبو جعفر على أبي عبد الله جعفر الصادق فقال: يا أبا عبد الله ما عندك في هذا؟ فقال أبو عبد الله يا أمير المؤمنين خذ العلم بحقه من معدنه، إنما ذلك لأنه ينبح على الضيف ويرد السائل، فقال جعفر: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، رأيت البارحة فيما يرى النائم كأني دخلت مسجد رسول الله ﷺ ورجل جالس في ناحية المسجد عليه السكينة والوقار والناس قد حفوا به يسألونه وهو يجيبهم، فسألته عن هذا السؤال فأجابني بهذا الجواب. فقلت من هذا؟ قالوا أبو جعفر محمد بن علي[٢].

جعفر والثوري في مكة:

قال سفيان الثوري: قدمت مكة، فإذا أنا بأبي عبد الله جعفر بن محمد قد أناخ بالأبطح، فقلت: يا ابن رسول الله! لم جعل الموقف من وراء الحرم، ولم يصير في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبة بيت الله، والحرم

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦٤، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٨٣.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي، ٤/ ٢٨.

حجابه، والموقف بابه، فلما قصده الوافدون، أوقفهم بالباب يتضرعون، فلما أذن لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة، فلما نظر إلى كثرة تضرعهم وطول اجتهادهم، رحمهم، فلما رحمهم أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا قربانهم، وقضوا تفثهم، وتطهروا من الذنوب التي كانت حجاباً بينه وبينهم، أمرهم بزيارة بيته على طهارة.

قال: فلم كره الصوم أيام التشريق؟ قال: لأنهم في ضيافة الله، ولا يجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه. قلت: جعلت فداك، فما بال الناس يتعلقون بأستار الكعبة، وهي خرق لا تنفع شيئا؟ قال: ذاك مثل رجل بينه وبين رجل جرم، فهو يتعلق به، ويطوف حوله، رجاء أن يهب له ذاك الجرم[1].

بين الخليفة المنصور وجعفر:

عن الفضل بن الربيع، عن أبيه، قال: دعاني المنصور، فقال: إن جعفر بن محمد يلحد في سلطاني، قتلني الله إن لم أقتله. فأتيته، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فتطهر، ولبس ثياباً ـ أحسبه قال: جدداً ـ فأقبلت به، فاستأذنت له، فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتله. فلما نظر إليه مقبلاً، قام من مجلسه، فتلقاه، وقال: مرحباً بالنقي الساحة، البريء من الدغل والخيانة، أخي وابن عمي. فأقعده معه على سريره، وأقبل عليه بوجهه، وسأله عن حاله، ثم قال: سلني عن حاجتك. فقال: أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم، فتأمر لهم به. قال: أفعل. ثم قال: يا جارية! ائتني بالتحفة. فأتته بمدهن زجاج فيه غالية، فغلفه بيده، وانصرف. فاتبعته، فقلت: يا بن

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦٦، وتهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٩٤، وتاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٥٥.

رسول الله! أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك، فكان منه ما رأيت، وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول، فما هو؟

قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك علي، ولا تهلكني وأنت رجائي، رب كم من نعمة أنعمت بها عليَّ قلَّ لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قلَّ لها عندك صبري؟ فيا من قل عند نعمته شكري، فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري، فلم يخذلني، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني، ويا ذا النعم التي لا تحصى أبداً، ويا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، أعني على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسي فيما خطرت، يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، اغفر لي ما لا يضرك، وأعطني ما لا ينقصك، يا وهاب! أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا، وشكر العافية[1].

دعاء الخوف:

قال جعفر الصادق: كان جدي علي بن حسين رحمة الله عليه يقول: من خاف من سلطان ظلامة أو تغطرساً فليقل: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام، واغفر لي بقدرتك عليَّ، ولا أهلك وأنت رجائي، فكم من نعمة قد أنعمت بها علي قلَّ لك عندها شكري، وكم بلية ابتليتني بها قل لك عندها صبري، فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني، ويا ذا النعماء التي لا تحصى، ويا ذا الأيادي التي

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي، ١/ ٢١٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦٧، وتهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٩٥.

لا تنقضي، بك أستدفع مكروه ما أنا فيه وأعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين[١].

عزلته عن الناس:

سمعت الثوري يقول: دخلت على جعفر بن محمد الصادق فقلت له: يا بن رسول الله! مالي أراك قد اعتزلت عن الناس؟ قال: يا سفيان! فسد الزمان، وتغيَّر الإخوان، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد، ثم أنشأ يقول:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب والناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والصفا وقلوبهم محشوة بعقارب[٢]

من أقواله وحكمه:

قال جعفر الصادق: لا تكون الصداقة إلا بحدودها فمن كان فيه شيء من هذه الخصال أو بعضها فانسبه إلى الصداقة، ثم حدها فقال: **أول حدودها**: أن تكون سريرته وعلانيته لك سواء .**والثانية**: أن يرى شينك شينه وزينك زينه. **و الثالثة**: لا يغيره مال ولا ولاية .**الرابعة**: لا يمنعك شيئاً تناله يده. **والخامسة**: وهي تجمع هذه الخصال وهي أن لا يسلمك عند النكبات[٣].

وقال: من صلى على محمد ﷺ وعلى أهل بيته مئة مرة، قضى الله له مئة حاجة.

وعنه قال: أوحى الله تعالى إلى الدنيا، أن اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك[٤].

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي، ٤/ ٢٨.
(٢) المنتظم لابن الجوزي، ٣/ ١٥.
(٣) الوافي بالوفيات للصفدي، ٤/ ٢٨.
(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٨٠.

وعن هشام بن عباد قال، سمعت جعفر بن محمد يقول: الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتهموهم.

وقال جعفر بن محمد: الصلاة قربان كل تقي، والحج جهاد كل ضعيف، وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وما عال من اقتصد، والتقدير نصف العيش، وقلة العيال أحد اليسارين، ومن أحزن والديه، فقد عقهما، ومن ضرب بيده على فخذه عند مصيبة، فقد حبط أجره، والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي حسب أو دين، والله ينزل الصبر على قدر المصيبة، وينزل الرزق على قدر المؤونة، ومن قدر معيشته رزقه الله، ومن بذر معيشته حرمه الله[1].

وصيته لولده:

عن بعض أصحاب جعفر بن محمد، قال: رأيت جعفراً يوصي موسى ـ يعني ابنه ـ: يا بني! من قنع بما قُسم له استغنى، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه، ومن كشف حجاب غيره انكشفت عورته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم.

يا بني! إياك أن تزري بالرجال فيزرى بك، وإياك والدخول فيما لا يعنيك، فتذل لذلك.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٨١، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦٢، تهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٨٧، تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٥٥.

يا بني! قل الحق لك وعليك، تستشار من بين أقربائك، كن للقرآن تالياً، وللإسلام فاشياً، وللمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطياً، وإياك والنميمة، فإنها تزرع الشحناء في القلوب، وإياك والتعرض لعيوب الناس، فمنزلة المتعرض لعيوب الناس، كمنزلة الهدف، إذا طلبت الجود، فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعاً، وللفروع ثمراً، ولا يطيب ثمر إلا بفرع، ولا فرع إلا بأصل، ولا أصل إلا بمعدن طيب، زر الأخيار، ولا تزر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها.

وعن عائذ بن حبيب: قال جعفر بن محمد: لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أسوأ من الكذب.

وعن يحيى بن الفرات: أن جعفراً الصادق، قال: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله، وتصغيره، وستره.

وعن عنبسة الخثعمي ـ وكان من الأخيار ـ قال: سمعت جعفر بن محمد، يقول: إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق[1].

وفاته ومن ترك من نسبه:

توفي رحمه الله سنة ثمان وأربعين ومئة ودفن بالبقيع في قبر فيه أبو محمد

(١) المنتظم لابن الجوزي، ٣/ ١٥، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦٢، تهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٨٧، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٨١، صفة الصفوة لابن الجوزي، ١/ ٢١٤.

الباقر، وجده علي زين العابدين، وعم جده الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه[١].

قال المدائني وعدة: مات جعفر الصادق في سنة ثمان وأربعين ومئة، وقد مر أن مولده سنة ثمانين.

ترك عدة أولاد: أقدمهم إسماعيل بن جعفر: ومات شاباً في حياة أبيه، سنة ثمان وثلاثين ومئة، وخلف: محمداً، وعلياً، وفاطمة.

فكان لمحمد من الولد: جعفر، وإسماعيل فقط.

فولد جعفر محمداً، وأحمد درج، ولم يعقب.

فولد لمحمد بن جعفر: جعفر، وإسماعيل، وأحمد، وحسن.

فولد لحسن: جعفر الذي مات بمصر، سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وخلف ابنه محمداً، فجاءه خمسة بنين.

وولد لإسماعيل بن محمد: أحمد، ويحيى، ومحمد، وعلي درج، ولم يعقب.

فولد لأحمد جماعة بنين: منهم إسماعيل بن أحمد، المتوفى بمصر، سنة خمس وعشرين وثلاث مئة.

فبنو محمد بن إسماعيل بن جعفر عدد كثير، كانوا بمصر، وبدمشق، قد استوعبهم الشريف العابد أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ويعرف هذا: بأخي محسن، كان يسكن بباب توما، مات قبل الأربع مئة، وذكر منهم

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي، ٤/ ٢٨.

قوماً بالكوفة، وبالغ في نفي عبيد الله المهدي من أن يكون من هذا النسب الشريف، وألف كتاباً في أنه دعي، وأن نحلته خبيثة، مدارها على المخرقة والزندقة[١].

وقال مالك بن أعين الجهني يرثيه:

فيا ليتني ثم يا ليتني ... شهدت وإن كنت لم أشهد
فآسيت في بثه جعفراً ... وساهمت في لطف العود
وإن قيل نفسك قلت الفدا ... وكف المنية بالمرصد
عشية يدفن قيل الندى ... وغرة زهو بني أحمد[٢]

تهافت الطوائف على الانتساب إليه:

فهذا العلَم يتجاذبه الناس، وكما قيل:

وكلٌّ يدَّعي وصلاً بليلى ....

فكلٌ يدعي الانتساب إليه: فإذا نظرنا إلى أهل السنة نجد أنهم يرون أن هذا الإمام هو إمامهم، وأنهم إليه ينتسبون، فهذا الإمام مالك عليه رحمة الله تعالى يفتخر وينتسب إلى الإمام جعفر الصادق رضوان الله عليه، بل ويذكر ـ أي الإمام مالك ـ أنه يحمد الله على أن الإمام جعفر ـ عليه رضوان الله ـ يثني عليه.

وكذلك نجد أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله يقول عن السَّنَتين اللتين تتلمذ فيهما على يد الإمام الصادق: «لولا السَّنَتان لهلك النعمان»[٣] فهو يذكر

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٢٦٩.
(٢) تهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٩٨.
(٣) الخلاف للطوسي، ١/ ٤٩، وجامع المقاصد للكركي، ١/ ٢١.

أنه استفاد من الإمام جعفر الصادق عليه رضوان الله تعالى، وأنه لولا تلك المدة التي تتلمذ فيها عليه ولازمه فيها لهلك.

وإذا نظرنا إلى الشيعة الإثني عشرية نجد أنهم يفتخرون بالانتساب إليه ويحبون ذلك، أي أن يقال عنهم: الجعفرية، ويرون أنه أشرف لقب يُطلق عليهم.

وإذا نظرنا إلى الزيدية نجد أنهم يرونه من أئمة الهدى، بل إن ابن عقدة الزيدي رَحِمَهُ اللَّهُ يعتبر من أوسع من كتب عنه، وجمع الدراسات والروايات عنه.

وإذا نظرنا إلي الإسماعيلية على عموم فرقهم، فإننا نجدهم ينتسبون إليه؛ فإن الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ـ وهو أكبر أولاده ـ وهم يعترفون بالأئمة من إسماعيل فما فوق، أي: يتفق الإثنا عشرية والإسماعيلية في تسلسل الأئمة إلى جعفر، ويختلفون فيمن بعده، حيث إن الإثني عشرية جعلوا الوصاية في ابنه موسى الكاظم، والإسماعيلية جعلوا الوصاية في ابنه إسماعيل، بناء على اعتقادهم أنَّ إسماعيل ذهب وارتفع وأنه سيعود، قائلين بعقيدة العودة والرجعة، وهم يرون أن إمامهم إسماعيل أخذ علمه من أبيه جعفر، فهم ينتسبون إلى جعفر عليه رضوان الله.

ومن أعجب العجب أني وقفتُ على كلام لبعض الملاحدة من الفلاسفة ينتسبون فيه إلى جعفر الصادق عليه رضوان الله تعالى، ويرون أنه إمامهم! سبحانك هذا بهتان عظيم!!.

نعم كان للإمام جعفر آراء في الفلسفة، وأقوال حفظت عنه، وله نظر

في كتب الفلاسفة والحكماء، لكنه من أئمة الدين الموحدين، الداعين إلى توحيد رب العالمين على هدي النبي الأمين بلا منازع.

كذلك انتحله آخرون من أصحاب النظر في الكيمياء والعلوم الطبيعية وجعلوه إمامهم، وقد كان له رحمه الله باع في العلوم الطبيعية، لكنه كما أسلفنا من أئمة الهدى رضي الله عنه[1].

لماذا تحرص كثير من الفرق أن تنتسب إلى جعفر الصادق؟

لما كانت شخصية الإمام جعفر الصادق رحمه الله كبيرة، ولها مكانتها في ذاتها، ومكانتها في نسبها، ومكانتها في علمها وفي زهدها، وفي كل ما يتعلق بها.. حرص الناس على أن ينتسبوا إلى تلك الشخصية، ولا غرو أن ينتسب الناس إليها، لكن يبقى الأمر الكبير وهو: من الصادق في هذا الانتساب؟!

جاء عن إمام أهل العراق أبي حنيفة قوله: لولا السَّنَتان لهلك النعمان، وهو يشير بقوله هذا على أخذه عن جعفر عليه رضوان الله.

كذلك طلابه الذين كونوا مدرسة الفقه الحنفي كمحمد بن الحسن وزفر والقاضي أبي يوسف؛ فإن المطالع في كتبهم يجد أنهم يذكرون مقولات كثيرة عن أبي حنيفة عن جعفر، بل ويذكرون مقولات كثيرة عن جعفر رضي الله عنه.

أما بالنسبة لإمام دار الهجرة، فإن الأمر في غاية الوضوح؛ فقد مر بنا كلام الإمام مالك عن جعفر عليهما رحمة الله تعالى، والذي يبين مدى الصلة الوثيقة بينه وبين جعفر.

وانظر إلى علاقته بالإمام سفيان الثوري عليه رحمة الله تعالى، الذي

---

(١) الإمام جعفر الصادق، لصالح بن عبد الله الدويش، ص ٤.

كان يزوره كثيراً، حتى ارتفعت الكلفة بينه وبين الإمام الصادق عليهما رحمة الله؛ فتجد الإمام الصادق عليه رضوان الله يُسرُّ إليه بما يخفيه على كثيرين.

فصلة هؤلاء الأئمة بالإمام جعفر في غاية الوضوح، وهذه الصلة لا ينكرها أحد، فهي ظاهرة مشتهرة بين الناس، فقد عاش الإمام عليه رضوان الله في المدينة، والتي كانت تعج بهؤلاء الأعلام وأمثالهم، معلمين ومتعلمين، فأخذ عنهم الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ وأخذوا عنه، بل كانت لهم جلسات خاصة مع الإمام جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد كان الإمام جعفر حاضراً بينهم، وقد أرسل الإمام جعفر إلى أبي حنيفة ـ كما وقع في بعض الروايات ـ لما بلغه أشياء عنه، فدعاه وأخذ يسأله عما أفتى به وعن مقايسته للأمور، وحذّره من التوسع في القياس في مناظرة طويلة بين الإمام أبي حنيفة مع شيخه جعفر، كما في الفقرات السابقة.

وإما إذا نظرنا إلى هذه المحاسبة التي جرت بين الإمام جعفر الصادق وبين أبي حنيفة؛ فإنه يظهر لنا جلياً أن الإمام جعفر ما كان يتردد في الإنكار على العلماء وعلى طلبة العلم، وما كان يتردد في بيان ما أخطؤوا فيه، بل ويرد عليهم، ويحاسبهم ويناقشهم في القضايا المختلفة.

وهذا يعني أن تلك المدارس لو خرجت عن الهدي النبوي الذي يرتضيه جعفر، لكان له ـ عليه رحمة الله تعالى ـ موقف صارم منها، ولشدد في الإنكار عليها، ولبيَّن خللها وأنها مخالفة لهدي النبي ﷺ.

ولو أن الإمام جعفراً رأى أن مدرسة الكوفة خرجت عن الهدي النبوي لشدَّد في الإنكار أيضاً حين استدعى بعض الفقهاء من العراق، وفي مقدمتهم الإمام أبو حنيفة، وأخذ يناقشه في القياس: إلى أي مقدار يأخذ

به.. فلو كان يرى أن أبا حنيفة اشتد في القياس وخرج عن الشرع، لأنكر عليه، كيف وهو الذي صدع بالحق في وجوه الخلفاء من بني أمية وبني العباس، وخالف بني عمه فلم يبايع، بل ترك الخوض في السياسة لصون الدين، فكيف يفرط فيه؟!

إذاً لم يكن جعفر الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ ليسكت عن مالك وأبي حنيفة وغيرهم من العلماء إذا كانوا ينشرون علماً يخالف سنة النبي ﷺ، بل كان سينكر عليهم، ولما لم يقع الإنكار علمنا أنه موافق لهم على علمهم هذا وعملهم في نشره، وبهذا نعلم كذب من يجعل التقية دين جعفر وينسبها إليه.

فهذه بعض الأدلة العقلية والنقلية على أن الإمام جعفراً الصادق إمام من أئمة أهل السنة والجماعة المقتدى بهم.

أما غيرهم: فإنك إذا سألت الإسماعيلية دليلاً على صدق انتسابهم إلى جعفر، فلن تجد جواباً شافياً.

وأما الجعفرية الإثنا عشرية، فقد أضفوا عليه العصمة غلواً، ودونوا عشرات الآلاف من الروايات ونسبوها إليه، ثم جعلوها بمنزلة النص المعصوم، فضلاً عن أن يميزوا صحيحها من سقيمها، وقويها من ضعيفها، وفي هذا يتوجه إليهم سؤال لا محيص لهم من الجواب عنه أو التسليم بالخطأ، وهو أن يقال:

نحن نعلم أن رسول الله ﷺ قد كُذب عليه كثيراً، فمن باب أولى أن يكذب على غيره، خاصة الإمام جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأين جهود الإثنى عشرية في بيان ما صح عنه وما كذب عليه، كما فعل أهل الحديث فيما ورد عن النبي ﷺ؟! فما جوابهم عنه؟

أيها القارئ الكريم:

إن الروايات التي رويت عن جعفر الصادق لها ثلاث حالات:

١ ـ روايات وافقت الكتاب والسنة، فهذه لا جدال في قبولها.

٢ ـ روايات لا تعارض الكتاب والسنة سواء وافقت ما رواه عنه علماء السنة ـ العامة كما تسميهم الشيعة ـ أو انفرد بها غيرهم فهذه أيضاً مقبولة، فهي تمثل اجتهاده رضي الله عنه لعدم معارضتها للكتاب والسنة.

٣ ـ روايات فيها معارضة للنصوص الشرعية ولا يقرها عقل، فهذه روايات مكذوبة على الإمام جعفر الصادق، وكذبها بين واضح لمخالفتها للعقل والنقل ونحو ذلك.. فهي مردودة.

وهذه الروايات المكذوبة على الإمام جعفر الصادق وغيره من الأئمة الأعلام هي محور الافتراق بين الفرق، وتحرير هذه المسألة سيؤدي إلى تقارب الفرق وبيان الوجه الحقيقي الصحيح في هذا المضمار، فيبقى الجهد الكبير الذي دعونا وندعو له هو قضية النظر في الروايات عن الأئمة وتصحيحها؛ لكي ننظر بعد ذلك فيما صحَّ من هذه الروايات، وليكون فيها الحوار.

أما أن نأتي لكتاب يجمع ستة عشر ألف رواية أو إلى كتاب يجمع آلاف الروايات أو إلى كتاب يبلغ أكثر من مئة مجلد، جُلُّها روايات عن جعفر الصادق، ولا تمييز بين صحيح وضعيف منها، فكيف ندرسه أو نناقشه؟

وإذا كان بعض معاصري الشيعة قد شنوا حملة شديدة على الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه لأنه روى آلاف الأحاديث فقالوا: وكيف يمكن لأبي هريرة أن يروي هذه الأحاديث؟! فنقول: كيف بمن روى ثلاثين ألف حديث، وبمن روى خمسة عشر ألف حديث... كلها عن الصادق رضي الله عنه؟!

فالقضية تحتاج إلى تأمل طويل، ونحن نقول: إننا نحترم الانتساب إلى الإمام جعفر، ونقول: إن الإمام جعفراً ووالده وولده وآباءه من أئمتنا، ونعتقد اعتقاداً لا مماراة فيه ولا مجادلة بإمامة الإمام عليٍّ، وأنه رابع الخلفاء الراشدين، والحسن والحسين سيدا شباب الجنة، ونقدر إمامة وفضل زين العابدين، وكذلك فضل ابنه محمد الباقر وإمامته، وبإمامة وفضل الإمام جعفر الصادق، وابنه موسى الكاظم، وغيرهم.. ففضل الأئمة ومنزلتهم لا إشكال فيها، لكن تبقى هذه الروايات الكثيرة عنهم، فنقول: ميزوا لنا بين صحيحها وسقيمها، ما الذي يُقبل وما الذي لا يقبل؛ حتى نستطيع أن نتحاور ونتناقش في هذه الأمور.

وهذا الطلب والعتب موجه للجميع، بما في ذلك علماء أهل السنة، والصروح العلمية؛ فإنه ينبغي أن تدرس تلك الروايات وأن تعرض على الميزان النقدي العلمي حتى تمحص[1].

كذبُ الرافضةِ عليهِ:

مع ما تبوأ الإمام جعفر الصادق من المنزلة عند الشيعة؛ إذ هو الإمام السادس من سلالة الحسين بن علي عندهم، ولكنهم مع هذا افتروا عليه كذباً مستطيراً لم يفتروه على مثله من أئمتهم.

ـ وأول ذلك: ما حكاه شيخهم أبو محمد الحسين النوبختي (٣١٠ هـ) في كتابه «فرق الشيعة»؛ حيث ذكر عن الذين قالوا بإمامة جعفر الصادق على محمد بن عبد الله بن الحسين ذى النفس الزكية، حيث ذاع منهم من قال: إن جعفراً لما أشار إلى إمامةِ إسماعيل ابنه ثم مات في حياة أبيه، أنه كذبهم، ولم يكن بذلك إماماً عليهم؛ لأن الإمام لا يكذب ولا يقول

(١) الإمام جعفر الصادق، لصالح بن عبد الله الدويش، ص٢٣ بتصرف يسير.

ما لا يكون. حتى حاولوا تسديد قوله هذا ؛ فقالوا بالبداءة على الله ؛ أي أنه قد يبدو لله شيءٌ لم يكن قبلُ في سابق علمه أن يكون، وإن أنكر البداءة نفر منهم.

ـ فهذا أول كذب عليه في حياته، كما كذبوا عليه بادعاء الإمامة المعصومة له، وسبق لنا في موقفه من الشيخين قوله لعبد الجبار الهمداني: مَنْ زَعَمَ أَنِّي إِمَامٌ مَعصُومٌ، مُفتَرَضُ الطَّاعَةِ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيْءٌ.

ـ وأيضاً الكذب على الإمام جعفر بأنه قال: «التقيةُ ديني ودينُ آبائي». واعتمدوها أصلاً من أصولهم، لا ينفكون عنه، ويحرفون آية آل عمران إليه.

ـ وأشنع ما افتراه غلاة الشيعة من الرافضة على الإمام الصادق: القول بألوهيته كما صرحت به طائفة البزيغية، وهم أتباع بزيغ بن موسى الحائك من أصحاب جعفر، وإن كان عامة الرافضة يلعنونهم[1].

ـ ومن كذبهم عليه اعتقاد بقائه وعدم موته، وبعضهم يعتقد ذلك في ابن موسى الكاظم، ومنهم من يعتقد ذلك في غيره من متقدمي آل البيت.

وهو خطأ بين؛ إذ الموت لابد منه، ولم يختص أحد من آل البيت لا علي ولا غيره دوام أو بقاء زيادة على غيره، فأعمارهم أعمار غيرهم، بل النادر منهم من يتجاوز المئة سنة عمراً.

ـ وأيضا كذبهم عليه وعلى أبيه فيما ينقلونه عنه من أصول الدين وفروعه، وينقلون عنهم بدون إسناد، أو بإسناد موضوع أو ضعيف أو مقطوع؛ لا يتوفر فيه أسباب القوة في نسبة القول إليهم، بل تتوفر فيه أسباب طعن نسبته إلى أحد من أولئك الأئمة.

---

(١) رجال الكشي، ص٢٥٧ وما بعدها، أعيان الشيعة للعاملي، ١٣/ ٢٣١، ورجال الطوسي، ص١٥٩.

قال ابن تيمية في «المنهاج»[١]: «وأما شرعياتهم فعمدتُهم فيها على ما ينقلُ عن بعضِ أهلِ البيتِ مثل: أبي جعفر الباقر، وجعفرِ بنِ محمدٍ الصادق، وغيرهما.

ولا ريب أن هؤلاءِ من ساداتِ المسلمين، وأئمةِ الدينِ، ولأقوالهم من الحرمةِ والقدرِ ما يستحقهُ أمثالُهم، لكن كثيرٌ مما ينقلُ عنهم كذبٌ، والرافضةُ لا خبرةَ لهم بالأسانيدِ والتمييزِ بين الثقاتِ وغيرهم؛ بل هم في ذلك من أشباهِ أهلِ الكتابِ؛ كل ما يجدونه في الكتبِ منقولاً عن أسلافهم قبلوه، بخلافِ أهلِ السنةِ فإن لهم من الخبرةِ بالأسانيدِ ما يمتازون به بين الصدقِ والكذبِ»[٢].

ولئن كان الإمامية الرافضة ينقلون عن الإمام الصادق ذمه ومناظرته للزنادقة من غلاة الرافضة؛ وهم الباطنيون وأحزابهم، فإن كلامه في هدم أصول الرافضة مثل ذلك، لكنهم يخفونه ويخفضونه ولا يرفعونه، ويحملونه على محمل التقية وغيرها.

فكلا الطائفتين مردود عليها من كلامه، والمقصود أنه لم يُكذب على أحد مثل ما كُذب على جعفر الصادق رحمة الله عليه، مع براءته مما كُذب به عليه[٣].

ومن الكتب التي نص المحققون على أنها مكذوبة عليهِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ ـ نسبوا إليه كذباً كتاب «رسائل إخوانِ الصفا»، وهو كتاب لم يؤلف إلا في القرن الثالث أيام دولة بني بويه.

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية، ٥/ ١٦٢.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ١١/ ٥٨١.

(٣) المُوجز الفارق من معالم ترجمة الإمام جعفر الصادق، ص٢٠.

٢ ـ كتاب «الْجَفْر»وهو كتاب تنبؤ بالحوادث، وعلم الغيب المستقبلي.

٣ ـ كتاب «عِلمِ الْبِطَاقَةِ».

٤ ـ كتاب«الْهَفْتِ».

٥ ـ كتاب «اخْتِلَاجِ الْأَعْضَاءِ»، وهي الحركات السفلية.

٦ ـ كتاب «الْجَدَاوِلِ» أو «جدولِ الهلالِ». وقد كذبه عليه عبد اللَّه بن معاوية أحد المشهورين بالكذبِ.

٧ ـ كتابُ «أحكامِ الرعودِ والبروقِ»، وحركات الأفلاك، وما يكون في العالم، كالذي قبله.

٨ ـ كتاب«منافعِ القرآنِ».

٩ ـ كتاب«قراءةِ القرآنِ في المنامِ».

١٠ ـ كتاب «تفسيرِ القرآنِ». وكثير مما نقله صاحب حقائق التفسير ـ وهو أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي ـ عن جعفر الصادق هو من الكذب.

١١ ـ كتاب «الكلامِ على الحوادثِ»، وموضوعه كتاب«الْجَفْر».

١٢ ـ كتابُ «تفسيرِ قراءةِ السورةِ في المنامِ».

١٣ ـ كتابُ «قوسِ قزح» ويسمى قوس الله.

هذا وإن كانت لهذهِ الكتب مخطوطات متفرقة في ثنايا المكتبات كما حشدها بروكلمان وسزكين.

قلتُ: فإنه لا يغني عن اعتقاد كذبها، حيث تكون كتبت على لسان جعفر ونسبت إليه مِن أتباعه والغالين فيه، أو من الزنادقة والباطنية مع اعتبار أن أصحاب المكتبات والمفهرسين ليس لديهم العناية بتحقيق نسبة الكتب إلى مؤلفيها، وإنما ما ذكره المترجمون، أو وجد مكتوباً على طرف المخطوطة منسوباً إلى رجل نسبوه إليه وكفى.

obeikandl.com

وأيضاً يبرهن الرافضة على كثرة مؤلفات الإمام الصادق بما جمعه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرطوسي الكيمائي الشهير (ت٢٠٠هـ) الفيلسوف المترجم، فقد قالوا: إنه صحب جعفر الصادق، وكتب عنه رسائله وعددها خمسمئة في ألف ورقة كما ذكره ابن خلكان، وهو موضوع شك كبير، لأن جابراً هذا متهم في نفسه اتهاماً بليغاً، في دينه وأمانته، وأيضاً في صحبته للإمام الصادق المتوفى سنة (١٤٨هـ)، إذ المشهور صحبته لجعفر بن يحيى البرمكي لا لجعفر الصادق، وهذا بالمدينة وذاك ببغداد، وأيضاً انشغال جابر بعلومه الطبيعية، ولعل هذا ما يفيد الربط بينه وبين جعفر الصادق، الذي تنسب إليه تلك المؤلفات والآراء في علوم الطبيعة والفلك والكيمياء والجداول.

وعلى كل حال؛ هذهِ الرسائل لا يمكننا اعتقاد نسبتها إلى الإمام الصادق والحالة هذه[١].

ولو كانت صحيحة النسبة لتلقاها أبناؤُهُ وتلاميذُهُ عنه، وذاع انتشارها عن مثله، كذلك بعد حصول هذا الكم من التأليف في أول القرن الثاني، إلى أمور كثيرة ترد في التشكيك بهذه النسبة[٢].

عقيدة أهلِ السنةِ في الأئمةِ الاثني عشر الذين ادَّعى الرافضةُ عصمتهم وغلوا فيهم:

ما أروع ما ذكره الإمام الذهبي حين بيَّن معتقد أهل السنة في الأئمة الاثني عشر إذ يقول:

---

(١) انظر الأعلام للزركلي، ٢/ ١٠٣.

(٢) الموجز الفارق من معالم ترجمة الإمام جعفر الصادق، ص٢٥.

فمولانا الإمام **علي**: من الخلفاء الراشدين المشهود لهم بالجنة رضي الله عنه نحبُّه أشد الحب، ولا ندعي عصمته ولا عصمة أبي بكر الصديق.

وابناه **الحسن والحسين**: سبطا رسول الله ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة، لو استُخلفا لكانا أهلاً لذلك.

و**زين العابدين**: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة، وله نظراء، وغيره أكثر فتوى منه، وأكثر رواية.

وكذلك ابنه **أبو جعفر الباقر**: سيد، إمام، فقيه يصلح للخلافة.

وكذا ولده **جعفر الصادق**: كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور.

وكان ولده **موسى**: كبير القدر، جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون، وله نظراء في الشرف والفضل.

وابنه **علي بن موسى الرضا**: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيَّره المأمون وليَّ عهده لجلالته، توفي سنة ثلاث ومئتين.

وابنه **محمد الجواد**: من سادة قومه، لم يبلغ رتبة آبائه في العلم، والفقه.

وكذلك ولده الملقب **بالهادي**: شريف جليل.

وكذلك ابنه **الحسن بن علي العسكري** رحمهم الله تعالى.

فأما **محمد بن الحسن** هذا: فنقل أبو محمد بن حزم: أن الحسن مات عن غير عقب.

قال: وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابناً أخفاه، وقيل: بل ولد له بعد موته، من أمة اسمها: نرجس أو سوسن، والأظهر عندهم أنها صقيل، وادعت الحمل بعد سيدها، فأوقف ميراثه لذلك سبع سنين،

obeikandl.com

ونازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي، فتعصب لها جماعة، وله آخرون ثم انفش ذلك الحمل وبطل، فأخذ ميراث الحسن أخوه جعفر وأخ له، وكان موت الحسن سنة ستين ومئتين إلى أن قال: وزادت فتنة الرافضة بصقيل، وبدعواها إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها، وجعلت في قصره إلى أن ماتت في دولة المقتدر[١].

وأما المنتظرُ الذي اختفى في السرداب فقال عنه الإمامُ الذهبي:

قلت: ويزعمون أن محمداً دخل سرداباً في بيت أبيه، وأمه تنظر إليه فلم يخرج إلى الساعة منه، وكان ابن تسع سنين، وقيل دون ذلك.

قال ابن خلكان: وقيل: بل دخل وله سبع عشرة سنة في سنة خمس وسبعين ومئتين، وقيل: بل في سنة خمس وستين، وأنه حي.

نعوذ بالله من زوال العقل، فلو فرضنا وقوع ذلك في سالف الدهر، فمن الذي رآه، ومن الذي نعتمد عليه في إخباره بحياته، ومن الذي نص لنا على عصمته، وأنه يعلم كل شيء؟

هذا هوسٌ بيِّن، إن سلَّطناه على العقول ضلت وتحيرت، بل جوزت كل باطل. أعاذنا الله وإياكم من الاحتجاج بالمحال، والكذب، أو رد الحق الصحيح كما هو ديدن الإمامية.

وممن قال: إن الحسن العسكري لم يعقب: محمد بن جرير الطبري، ويحيى بن صاعد، وناهيك بهما معرفة، وثقة[٢].

خلاصة القول كما قال الذهبي:

كان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام:

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٢٨٤.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٢٨٤.

أهل سنة: وهم أولو العلم، وهم محبون للصحابة، كافون عن الخوض فيما شجر بينهم؛ كسعد، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأمم.

ثم شيعة: يتوالون، وينالون ممن حاربوا علياً، ويقولون: إنهم مسلمون بغاة ظلمة.

ثم نواصب: وهم الذين حاربوا علياً يوم صفين، ويقرون بإسلام عليّ وسابقيه، ويقولون: خذل الخليفة عثمان.

فما علمتُ في ذلك الزمان شيعياً كفَّر معاوية وحزبه، ولا ناصبياً كفر علياً وحزبه، بل دخلوا في سبٍّ وبغض.

ثم صار اليوم شيعة زماننا يكفِّرون الصحابة، ويبرؤون منهم جهلاً وعدواناً، ويتعدون إلى الصديق، قاتلهم الله.

وأما نواصب وقتنا فقليل، وما علمتُ فيهم من يكفِّر علياً ولا صحابياً.

ومن سكت عن ترحم مثل الشهيد أمير المؤمنين عثمان، فإن فيه شيئاً من تشيع، فمن نطق فيه بغض وتنقص، وهو شيعي جلد يؤدَّب، وإن ترقى إلى الشيخين بذم فهو رافضي خبيث، وكذا من تعرض للإمام عليٍّ بذم فهو ناصبي يعزَّر، فإن كفَّره فهو خارجي مارق، بل سبيلنا أن نستغفر للكل، ونحبهم، ونكفَّ عما شجر بينهم[1].

(١) سير أعلام النبلاء، ٧/ ٢٥٢ وما بعدها.